الطبيعة

من كتاب الكلمات الرئيسية : مفردات الثقافة والمجتمع ، الطبعة المنقحة(1983)

ريموند ويليامز

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

في هذا المختار من عمله الرائد ، الكلمات الرئيسية ، يستكشف ويليامز "ربما الكلمة الأكثر تعقيدًا في اللغة [الإنجليزية]" سلالة : الطبيعة . ورغم أن الكلمات الرئيسية مصممة على غرار القاموس أو الموسوعة ، حيث يتم ترتيب المصطلحات ومناقشتها حسب الترتيب الأبجدي ، فإن نية ويليامز ليست تقديم تعريف موجز أو حتى "صحيح" للقارئ . بل إن الكلمات الرئيسية تهدف إلى أن تكون تحقيقًا في المعاني المشتركة للمصطلحات والمفاهيم التي تشكل ، في تقدير ويليامز، الأساس للثقافة والمجتمع الناطقين باللغة الإنجليزية . لسنوات ، لجأ العلماء إلى الكلمات الرئيسية ليس للحصول على تعريفات أو ملخصات تاريخية للكلمات والمفاهيم الإنجليزية المهمة ، ولكن بدلاً من ذلك للحصول على أدلة على العلاقات بين هذه الكلمات وأنماط أوسع من التغيير الاجتماعي والثقافي .

اللغة ديناميكية ، تتكيف وتتغير دائمًا استجابةً للتغيرات الأوسع نطاقًا في المجتمع أو تحسبًا لها . ويؤكد ويليامز أن معاني المصطلحات والمفاهيم تتغير بسبب التغيرات الأكبر التي تحدث في المجتمع . ومع ذلك ، يصر ويليامز على أن اللغة لا تعكس ببساطة التغيير الاجتماعي والعملية التاريخية ، بل إن هذه التغييرات والعمليات نفسها تحدث جزئيًا داخل اللغة نفسها . وفي مثل هذه الحركات ، يتم حل المشكلات والمعاني والعلاقات في ارتباكات وغموض اللغة نفسها . **إن الثقافة والمجتمع في عملية تغيير مستمرة** ، ويحدث هذا التغيير بشكل أساسي على مستوى اللغة . ولا يعد التغيير عملية مباشرة حيث يفسح القديم المجال للجديد . **فالمعاني القديمة تظل باقية في اللغة** ، تمامًا كما تفعل في جوانب أخرى من حياتنا اليومية . باختصار، يدرك ويليامز تمام الإدراك الدور المركزي الذي تلعبه اللغة في العمليات الأوسع نطاقًا للتغيير الاجتماعي ، **فالكلمات هي المفتاح** .

تبحث جميع الإدخالات في الكلمات الرئيسية وراء المصطلحات التي غالبًا ما يُفترض أنها تمتلك معاني مستقرة ومباشرة وغير مثيرة للجدل . إن ما يفعله ويليامز هو بناء شجرة عائلة من نوع ما – سلسلة نسب – تتألف من الأسلاف التاريخيين للكلمات المعاصرة ، ومعانيها المتباينة في كثير من الأحيان ، وبصمتها المتبقية على المصطلح الذي نعرفه اليوم . ففي المدخل المخصص لكلمة "الطبيعة" ، على سبيل المثال ، يلاحظ ويليامز كيف وصلت الكلمة إلى اللغة الإنجليزية المعاصرة عبر الفرنسية القديمة ، وقبل ذلك اللاتينية . ويكمن جذر كلمة "الطبيعة" في الفعل اللاتيني nasci : "الولادة" . وبالتالي فإن كلمة "الطبيعة" تشترك في أصل مشترك ، ومن ثم في معنى مشترك ، مع كلمات أخرى ، مثل "الأمة" ، و"الأصلي" ، و"الفطري" .

وبالإضافة إلى تتبع سلسلة نسب معاني كلمة "الطبيعة" ، يقدم ويليامز أيضاً طريقة للتفكير في تعقيدات المصطلح دون الاستسلام للرغبة في التوصل إلى تعريف بسيط من شأنه أن يحل الغموض . وهذه رسالة بالغة الأهمية ، ولكنها خفية . وبينما يشير ويليامز إلى أهمية توضيح المصطلحات التي يستخدمها أي تخصص ، فإنه يزعم أن "المهم بشكل عام هو مدى التداخل بين المعاني" . ويوضح كيف أن الاستخدام المبكر للطبيعة ، في القرن الثالث عشر ، كان يشير إلى جوهر أو نوعية الطبيعة لشيء محدد . على سبيل المثال ، قد يقول المرء "كانت طبيعة مناقشتنا ودية" . في هذا المثال ، تشير "الطبيعة" إلى جودة أو جوهر المناقشة المحددة

المعنية . ومع ذلك ، على مدى 300 عام من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر، افترضت "الطبيعة" معنيين إضافيين أكثر تجريدًا : أولاً ، "القوة الكامنة التي توجه ... العالم" ؛ وثانيًا، "العالم المادي نفسه" . ما إذا كان أي من هذين الاستخدامين للطبيعة يشمل البشر، كما يشير ويليامز، كان محل نقاش في ذلك الوقت (كما هو الحال حتى الآن).

ما تزال جميع الاستخدامات الثلاثة للطبيعة سارية المفعول اليوم . كما تمت مناقشته في مقدمة هذا الجزء ، فإن تحديد معالم ما يعد طبيعة ، وتحديد ما إذا كان البشر والثقافات البشرية جزءًا من الطبيعة أو منفصلين (ومتفوقين) عن الطبيعة ، هو سؤال دائم تأمله الفلاسفة والمؤرخون والكتاب واللاهوتيون والجغرافيون وغيرهم عبر العصور . لا يحسم ويليامز هذا النقاش ؛ إن القيام بذلك من شأنه أن ينتهك نيته في الكلمات الرئيسية .

من بين جميع المصطلحات التي يناقشها ويليامز في الكلمات الرئيسية ، فإنه يعد الطبيعة (جنبًا إلى جنب مع الثقافة) صعبة للغاية ومهمة ، بسبب **مركزيتها للهوية البشرية** . يقول : "أي تاريخ كامل لاستخدامات الطبيعة سيكون تاريخًا لجزء كبير من الفكر البشري" . وبالتالي فليس من المستغرب أن يبدأ العديد من جغرافيي الثقافة الذين يكتبون عن الطبيعة باستكشاف ريموند ويليامز للمصطلح . في نظرة عامة رائعة يمكن الوصول إليها للطبيعة من منظور الجغرافي ، يبدأ نويل كاستري بملاحظة تعدد المعاني ، أو المعاني المتعددة ، لمصطلح الطبيعة ، ويستخدم عمل ويليامز للمساعدة في صياغة مناقشته ؛ ينظر الطبيعة (2005).

ديفيد هارفي ، في كتابه العدالة والطبيعة وجغرافيا الاختلاف (1996)، ينخرط بعمق وإن كان بشكل نقدي في بعض الأحيان في مناقشة ويليامز للطبيعة والكلمات الرئيسية الأخرى . ويشير هارفي ، الذي يتعاطف مع النهج الماركسي الذي تبناه ويليامز، إلى أهمية العمل كونه السبيل الذي يتيح لمعظمنا تجربة الطبيعة وتعريفها ، ومكاننا داخلها (أو خارجها) : من خلال العمل . وقد حرر المؤرخ ويليام كرونون كتاب "أرض غير مألوفة : نحو إعادة اختراع الطبيعة" (1995) ، وأصبحت ملاحظاته أساسية لجغرافيي الثقافة الذين يبحثون في الطبيعة . وتماشياً مع ملاحظات ويليامز، يركز كرونون على فكرة مفادها أن "الطريقة التي نصف بها ونفهم بها [العالم غير البشري] متشابكة إلى حد كبير مع قيمنا وافتراضاتنا الخاصة بحيث لا يمكن فصل الاثنين بشكل كامل . وما نعنيه عندما نستخدم كلمة "الطبيعة" يقول الكثير عن أنفسنا كما يقول عن الأشياء التي نطلق عليها هذه الكلمة" . وأخيراً ، ورغم أن ويليامز لم يكن نسوياً ، فإن ملاحظاته حول المعاملة الجنسانية للطبيعة ـ كإلهة ، وكأم ـ تبنتها الجغرافيات الثقافيات النسويات (ينظر روز، ص 171).

وُلِد رايموند ويليامز (1921-1987) في عائلة ويلزية من الطبقة العاملة . خدم في الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية ، وشارك في القتال في فرنسا وألمانيا . وبعد الحرب ، عمل ويليامز كمدرس لتعليم الكبار . وفي عام 1961، تمت دعوته للانضمام إلى هيئة التدريس في جامعة كامبريدج ، ليصبح في النهاية أستاذًا للدراما . يُعرف ويليامز باهتماماته الواسعة النطاق ، كناقد أدبي وإعلامي ، ومحلل سياسي ، وكاتب مسرحي ، وروائي ، ومؤرخ اجتماعي . ربما اشتهر ويليامز ، مؤلف أكثر من عشرين كتابًا ، بكتابه الثقافة والمجتمع (1958) ، والثورة الطويلة (1961) ، والماركسية والأدب (1977) . ولعل أعظم أعماله الجغرافية غير الخيالية هو كتاب الريف والمدينة (1973) ، ولكن القصص القصيرة والروايات التي كتبها ويليامز - مثل بلد الحدود (1960) - غنية أيضًا بالموضوعات الجغرافية . لقد سعى ويليامز إلى تجنب النهج الماركسي الحتمي ، مؤكداً بدلاً من ذلك على الترابط الغني بين اللغة والثقافة والبنى المادية ، وخاصة كما تتجلى هذه في عالم الحياة اليومية . كان ويليامز نشطًا في ما يسمى بالنشاط الاجتماعي اليساري الجديد في ستينيات القرن العشرين ، وفي محادثة وثيقة مع الأعضاء المؤسسين لحركة الدراسات الثقافية البريطانية في

جامعة برمنجهام . جنبًا إلى جنب مع ستيوارت هول وإي بي تومسون ، أسس ريموند ويليامز المجلات الراديكالية New Left Review و The New Reasoner.

ربما تكون الطبيعة هي الكلمة الأكثر تعقيدًا في اللغة . من السهل نسبيًا التمييز بين ثلاثة مجالات للمعنى: (أ) الجودة والطابع الأساسي لشيء ما ؛ (ب) القوة الكامنة التي توجه العالم أو البشر أو كليهما ؛ (ج) العالم المادي نفسه ، بما في ذلك البشر أو لا يشملهم . ومع ذلك ، من الواضح أنه ضمن (ب) و(ج)، على الرغم من أن منطقة المرجع واضحة على نطاق واسع ، فإن المعاني الدقيقة متغيرة وفي بعض الأحيان متعارضة . إن التطور التاريخي للكلمة من خلال هذه المعاني الثلاثة مهم ، ولكن من المهم أيضًا أن تكون المعاني الثلاثة ، إن الاختلافات والبدائل الرئيسية ضمن الاثنين الأكثر صعوبة ، ما تزال نشطة ومنتشرة على نطاق واسع في الاستخدام المعاصر.

تأتي كلمة "طبيعة" من [السلف المباشر] nature، [بالفرنسية القديمة] وnatura، [باللاتينية] ، من جذر في صيغة الماضي من كلمة nasci ، [باللاتينية] - أن يولد والتي تشتق منها أيضًا كلمة nation ، وnative، وinnate ، إلخ . وكان **معناها الأول** ، كما في [بالفرنسية القديمة] و[باللاتينية]، (i)، السمة الأساسية والجودة لشيء ما . وهكذا فإن كلمة "طبيعة" واحدة من عدة كلمات مهمة ، بما في ذلك كلمة culture ، والتي بدأت كأوصاف لجودة أو عملية ، تم تعريفها على الفور من خلال مرجع محدد ، ولكنها أصبحت فيما بعد أسماء مستقلة .

والعبارة [اللاتينية] ذات الصلة بالمعاني المتطورة هي - natura rerum طبيعة الأشياء ، والتي تم اختصارها بالفعل في بعض الاستخدامات [اللاتينية] إلى- natura دستور العالم . في اللغة الإنجليزية ، يعود المعنى (i) إلى القرن الثالث عشر، والمعنى (ii) إلى القرن الرابع عشر، والمعنى (iii) إلى القرن السابع عشر، على الرغم من وجود استمرارية أساسية ، وفي المعنيين (ii) و (iii)هناك تداخل كبير من القرن السادس عشر . وعادةً ما لا يكون من الصعب التمييز بين (i) و (ii) و(iii) ؛ بل إنه غالبًا ما يكون أمرًا معتادًا ولا يُلاحَظ في القراءة .

في حالة الطبيعة الفظّة ، لا يوجد شيء مثل الشعب... فكرة الشعب... هي فكرة مصطنعة تمامًا ؛ ومصنوعة ، مثل جميع الخيالات القانونية الأخرى ، باتفاق مشترك . وما كانت عليه الطبيعة الخاصة لهذا الاتفاق ، يتم جمعه من الشكل الذي تم فيه صب المجتمع المعين . وهنا ، في [إدموند] بيرك ، توجد مشكلة تتعلق بالاستخدام الأول لكلمة "الطبيعة" ، ولكن لا توجد مشكلة ـ بل إنها لا تبدو في الواقع الكلمة نفسها ـ فيما يتعلق بالاستخدام الثاني ، المعنى(i) . ومع ذلك ، فإن الارتباط والتمييز بين المعاني (i) و (ii) و (iii) لابد وأن يكونا في بعض الأحيان واعيين للغاية .

فالعبارة الشائعة "**الطبيعة البشرية**" ، على سبيل المثال ، والتي غالبًا ما تكون حاسمة في أنواع مهمة من الحجج ، قد تحتوي ، دون إثبات ذلك بوضوح ، على أي من المعاني الرئيسية الثلاثة ، بل وحتى الاختلافات الرئيسية والبدائل . وهناك استخدام محايد نسبيًا للمعنى :(i) وهو أن القيام بشيء ما يشكل صفة وسمة أساسية للبشر (على الرغم من أن الشيء المحدد قد يكون بالطبع مثيرًا للجدل) . ولكن في العديد من الاستخدامات ، تكون السمة الوصفية (ومن ثم القابلة للتحقق أو التكذيب) للحس (i) أقل بروزًا من النوع المختلف جدًا من العبارات التي تعتمد على الحس (ii) ، أو القوة الكامنة الموجهة ، أو أحد أشكال الحس (iii)، وهي خاصية ثابتة للعالم المادي ، في هذه الحالة "الإنسان الطبيعي" .

ما يجب ملاحظته أيضًا في العلاقة بين الحس (i) والحواس (ii) و(iii) ، بشكل عام ، هو أن الحس (i)، بحكم التعريف ، هو مفرد محدد - طبيعة شيء ما ، في حين أن الحواس (ii) و(iii) ، في جميع استخداماتها

تقريبًا ، مفردان مجردان - طبيعة كل الأشياء التي أصبحت طبيعة مفردة أو طبيعة . المفرد المجرد بالطبع تقليدي الآن ، ولكن له تاريخ دقيق . لقد تطور المعنى (ii) من المعنى(i) ، وأصبح مجردًا ، لأن ما كان يجري البحث عنه كان "صفة أو شخصية جوهرية" عالمية واحدة . وهذا يتوافق بنيويًا وتاريخيًا مع ظهور الله من إله أو آلهة .

لقد تشكلت الطبيعة المجردة ، القوة الجوهرية المتأصلة ، بهذا الافتراض من خلال سبب أولي واحد ، حتى عندما تم وضعه ، في جدال ، في مواجهة السبب أو القوة المفردة الأكثر تجريدية صراحةً ، الله . وهذا له تأثيره فيما يتعلق بالمعنى (iii) ، عندما يمكن للإشارة إلى العالم المادي بأكمله ، وبالتالي إلى تعدد الأشياء والمخلوقات ، أن تحمل افتراضًا لشيء مشترك بينها جميعًا : إما (أ) حقيقة وجودها المجردة ، والتي هي محايدة ، أو، على الأقل بالقدر نفسه من الشائع ، (ب) تعميم صفة مشتركة تستند إليها عبارات من النوع ، عادةً بشكل صريح بالمعنى (iii) ، "تُظهر لنا الطبيعة ... "إن هذا الاختزال للتعددية إلى مفردة ، من خلال بنية وتاريخ الكلمة النقدية ، يكون إذن ، ومن الغريب ، متوافقًا إما مع تأكيد الصفة المشتركة ، التي يناسبها المعنى المفرد ، أو مع الإثبات العام أو المحدد للاختلافات ، بما في ذلك الإنكار الضمني أو الصريح لصفة فعّالة مشتركة ، والتي غالبًا ما يتمكن الشكل المفرد من احتوائها .

إن أي تاريخ كامل لاستخدامات الطبيعة سيكون تاريخًا لجزء كبير من الفكر البشري... ولكن من الممكن الإشارة إلى بعض الاستخدامات والتغييرات النقدية . هناك ، أولاً، التشخيص المبكر جدًا والمستمر بشكل مدهش للطبيعة المفردة : الطبيعة الإلهة ، "الطبيعة نفسها" . هذا التشخيص المفرد يختلف بشكل حاسم عن ما يسمى الآن "آلهة الطبيعة" أو "أرواح الطبيعة" : التشخيصات الأسطورية لقوى طبيعية معينة . "إن "الطبيعة نفسها" في أحد الطرفين هي إلهة حرفية ، وقوة توجيهية عالمية ، وفي الطرف الآخر (من الصعب جدًا التمييز بينها وبين بعض القوى الأخرى(هي إلهة حقيقية . " إن استخدامات مفردة غير دينية) قوة إبداعية وتشكيلية غير واضحة ولكنها مع ذلك قوية . وتقع "الأم الطبيعة" المرتبطة بها في هذا الطرف من الطيف الديني والأسطوري .

ومن ثم فإن هناك تعقيدًا كبيرًا عندما يتعين على هذا النوع من التجريد الديني أو الأسطوري المفرد أن يتعايش ، كما هو الحال ، مع قوة مفردة أخرى قوية ، ألا وهي **الله التوحيدي** . كان من المعتاد في المعتقد الأوروبي في العصور الوسطى استخدام كل من المطلقات المفردة ولكن تعريف الله بأنه أولي والطبيعة كوزير أو نائب له . ولكن كان هناك ميل متكرر إلى رؤية الطبيعة بطريقة أخرى ، كملك مطلق . ومن الواضح أنه من الصعب فصل هذا عن الإلهة أو الوزير، ولكن المفهوم كان يستخدم بشكل خاص للتعبير عن شعور بالقدرية بدلاً من العناية الإلهية . كان التركيز على قوة القوى الطبيعية ، وعلى الممارسة العشوائية أو المتقلبة لهذه القوى من حين لآخر، مع آثار حتمية ومدمرة في كثير من الأحيان على البشر.

وكما قد نتوقع ، في مسائل مثل هذه الصعوبة الأساسية ، كان مفهوم الطبيعة في الممارسة العملية أوسع وأكثر تنوعًا من أي من التعريفات المحددة . كانت هناك ممارسة استخدام متغير ، كما في مسرحية لير لشكسبير: لا تسمح للطبيعة بأكثر مما تحتاجه الطبيعة ، إن حياة الإنسان رخيصة مثل حياة الوحوش. . . . . ابنة واحدة تنقذ الطبيعة من اللعنة العامة التي جلبتها إليها اثنتان . إن الطبيعة التي تحتقر أصلها ، لا يمكن أن تكون محددة في حد ذاتها. . . . . كل الرعد المهتز، يكسر قوالب الطبيعة ، ويسكب كل الجراثيم في وقت واحد ، التي تجعل الإنسان الجاحد... اسمعي ، اسمعي الطبيعة ؛ أيتها الإلهة العزيزة ، اسمعي . . .

في هذه الأمثلة مجموعة من المعاني : من الطبيعة كونها الحالة البدائية قبل المجتمع البشري ؛ من خلال الشعور بالبراءة الأصلية التي كان هناك سقوط ولعنة تتطلب الفداء ؛ من خلال الشعور الخاص بنوعية

الولادة ، كما هو الحال في الكلمة الجذرية ؛ من خلال الشعور بأشكال وقوالب الطبيعة التي يمكن ، على نحو متناقض ، أن تدمرها القوة الطبيعية للرعد ؛ إلى ذلك الشكل البسيط والمستمر للإلهة ، الطبيعة نفسها . هذا التعقيد في الطبيعة إن المعنى ممكن في صيغة درامية وليس صيغة تفسيرية . وما يمكن عده عدم يقين كان في الوقت نفسه توتراً : فالطبيعة كانت في آن واحد بريئة ، وغير مُقدمة ، ومؤكدة ، وغير مؤكدة ، ومثمرة ، ومدمرة ، وقوة نقية وملوثة وملعونة . لقد تم تقديم التعقيد الحقيقي للعمليات الطبيعية من خلال التعقيد داخل المصطلح المفرد .

ثم كان هناك ، وخاصة منذ أوائل القرن السابع عشر، جدال نقدي حول مراقبة وفهم الطبيعة . قد يبدو من الخطأ التحقيق في عمل ملك مطلق ، أو وزير من وزراء الله . ولكن تم التوصل إلى صيغة : **إن فهم الخلق يعني مدح الخالق ، ورؤية القوة المطلقة من خلال الأعمال الطارئة** . في الممارسة العملية ، أصبحت الصيغة شِفْية ثم نُسيت . وبالتوازي مع التغيرات السياسية ، تغيرت الطبيعة من ملك مطلق إلى ملك دستوري ، مع نوع جديد من التركيز على القوانين الطبيعية .

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كانت الطبيعة غالبًا ما تُجسَّد في صورة محامٍ دستوري . كانت القوانين تأتي من مكان ما ، وكان هذا يُعرَّف بشكل مختلف ولكن غالبًا ما كان غير مبالٍ ؛ وكان الاهتمام العملي الأكبر منصبًّا على تفسير وتصنيف القوانين ، والتنبؤ بالسوابق ، واكتشاف أو إحياء القوانين المنسية ، وقبل كل شيء صياغة قوانين جديدة من قضايا جديدة : الطبيعة ليست كقوة متأصلة وتشكيلية ولكن كتراكم وتصنيف للقضايا . كان هذا هو الظهور الحاسم للحس (ثالثًا): الطبيعة كعالم مادي . ولكن التركيز على القوانين القابلة للاكتشاف- الطبيعة وقوانين الطبيعة كانت مختبئة في الليل ؛ قال الله ، ليكن نيوتن! وكان كل شيء نورًا! ([الإسكندر] بوب) -أدى إلى تحديد مشترك للطبيعة بالعقل : موضوع الملاحظة مع طريقة الملاحظة .

لقد وفر هذا الأساس لاختلاف كبير، حيث تم مقارنة الطبيعة بما تم صنعه من الإنسان ، أو ما صنعه الإنسان من نفسه . يمكن مقارنة "حالة الطبيعة" - أحيانًا بتشاؤم ولكن في كثير من الأحيان بتفاؤل وحتى برمجية - بحالة المجتمع القائمة . ثم لعبت "حالة الطبيعة" ، والفكرة المجسدة حديثًا للطبيعة ، أدوارًا حاسمة في الحجج حول ، **أولاً** ، مجتمع عفا عليه الزمن أو فاسد ، يحتاج إلى الفداء والتجديد ، و**ثانيًا** ، مجتمع "اصطناعي" أو "ميكانيكي" . إن المجتمع الذي يجب أن يعالجه التعلم من الطبيعة . وبشكل عام ، كانت هاتان المرحلتان هما التنوير والحركة الرومانسية . ويمكن التمييز بين الحواس بسهولة ، ولكن كان هناك في كثير من الأحيان قدر كبير من التداخل . فقد أعطى التركيز على القانون أساسًا فلسفيًا لتصور مجتمع مثالي . كما أعطى التركيز على القوة الأصلية المتأصلة - نسخة جديدة من الفكرة الأقدم بكثير - أساسًا للتجديد الفعلي ، أو حيث بدا التجديد مستحيلًا أو تأخر كثيرًا ، مصدرًا بديلًا للإيمان بخير الحياة والبشرية ، كثقل موازن أو عزاء ضد "عالم" قاسٍ .

كانت كل من هذه المفاهيم للطبيعة ثابتة إلى حد كبير: مجموعة من القوانين – دستور العالم ، أو قوة متأصلة ، عالمية ، أولية ولكنها متكررة أيضًا - واضحة في "جمال الطبيعة" وفي "قلوب الرجال" ، تعلم الخير المفرد . لقد احتفظت كل من هذه المفاهيم ، وخاصة المفهوم الأخير، بتداولها . والواقع أن أحد أقوى استخدامات الطبيعة ، منذ أواخر القرن الثامن عشر، كان في هذا **المعنى الانتقائي للخير والبراءة** . وكانت الطبيعة تعني "الريف" ، و"الأماكن غير الملوثة" ، والنباتات والكائنات الأخرى غير الإنسان . والاستخدام شائع بشكل خاص في التناقضات بين المدينة والريف : **فالطبيعة هي ما لم يصنعه الإنسان** ، ولو أنه صنعه

منذ فترة طويلة ـ سياج من الأشجار أو صحراء ـ فسوف يُدرج عادة كونه طبيعياً . ويعود تاريخ محبي الطبيعة وشعر الطبيعة إلى هذه المرحلة .

ولكن كان هناك تجسيد قوي آخر لم يأت بعد : فقد انضمت الطبيعة كونها الإلهة ، أو الوزير، أو الملك ، أو المحامي ، أو مصدر البراءة الأصلية إلى **الطبيعة كونها المربي الانتقائي** : لقد أصبح الانتقاء الطبيعي ، والمنافسة "القاسية" المتأصلة فيه على ما يبدو، الأساس لرؤية الطبيعة كونها تاريخية وفعالة في الوقت نفسه . ولقد كانت الطبيعة وما تزال لديها قوانين ، ولكنها كانت قوانين البقاء والانقراض : فقد نشأت الأنواع وازدهرت ، ثم تحللت وماتت . ولقد تم تعميم التراكم غير العادي للمعرفة حول العمليات التطورية الفعلية ، وحول العلاقات شديدة التباين بين الكائنات الحية وبيئاتها ، بما في ذلك الكائنات الحية الأخرى ، مرة أخرى ، بشكل مدهش ، إلى اسم مفرد .

لقد كانت الطبيعة تفعل هذا وذاك للأنواع . ثم حدث توسع في الأشكال المتنوعة للتعميم العلمي الجديد : "الطبيعة تعلمنا..." ، "الطبيعة تظهر لنا أن...". وفي السجل الفعلي ، تراوح ما تم تدريسه أو إظهاره بين المنافسة المتأصلة والمريرة بشكل حتمي إلى التبادلية أو التعاون المتأصل . إن العديد من الأمثلة الطبيعية يمكن اختيارها لدعم أي من هذه الإصدارات : العدوان ، الملكية ، الطفيلية ، التعايش ، التعاون ، كلها تم إثباتها وتبريرها وإسقاطها في الأفكار الاجتماعية من خلال عبارات انتقائية من هذا النموذج ، والتي يتم طرحها عادةً على أنها تعتمد على طبيعة مفردة حتى أثناء جمع واستخدام حقائق التنوع والتغير .

إن تعقيد الكلمة ليس مفاجئًا ، نظرًا للأهمية الأساسية للعمليات التي تشير إليها . ولكن بما أن الطبيعة هي كلمة تحمل ، على مدى فترة طويلة جدًا ، العديد من الاختلافات الرئيسية في الفكر البشري – غالبًا ، في أي استخدام معين ، ضمنيًا فقط ولكن بتأثير قوي على طبيعة الحجة - **فمن الضروري أن نكون مدركين بشكل خاص لصعوبتها .**